نبذة من كتاب

عبرة اولي الابصار في ملوك الامصار

Un Ms. d'histoire.

ابعث اليك بفصل من كتاب خطي نفيس اسمه « عبرة اولي الابصار في ملوك الامصار » مؤلفه اسمعيل بن احمد بن سعيد بن الاثير الحلبي الشافعي والمؤلف فقد بعد واقعة غازان في ربيع الاول سنة ٦٩٩ والتفاصيل تبين جليا ان ما ابداه بروكلمن من الملحوظات في كتابه « تاريخ الاداب العربية » في ٢ : ٣٤١ غير صائب اذ نرى المؤلف ووالده كانا شاهدي عيان للحوادث التي يرويها الكاتب . ومن ثم نلحظ ان النسخة المكتوبة في سنة ٧٣٠ للهجرة اي في حياة ولد المؤلف نجم الدين احمد بن اسمعيل العلامة المشهور المتوفى سنة ٧٣٧ هـ لا تحوي إلا الجزء الثاني اما الفصول التي تروي الاخبار الخاصة بالمغول والتي وعد بذكرها صاحب الكتاب فناقصة منه ولا اعلم السبب وفي سنة ٦٦٧ من الهجرة وهي سنة وفاة هولاكو لا يذكر المؤلف كلمة عن هذا الحادث المهم. فان كنت ترى في هذا الفصل فائدة لقراء « لغة العرب » فوافهم به . وإلا فالقه في سلة المهملات .

ف . كرنكو

يكتبهم « انكاترة »

(Fol. 76) وفي سنة خمسين [وستمائة] ارسل علاء الدين صاحب « الموت رسولا » الى الملك الناصر [صاحب حلب] وعلى يده كتابان احدهما اعجمي والاخر مترجم وكان مضمون المترجم : انه اتصل بي ان السلطان قد شغل نفسه وعساكره بفتح مصر ومولانا يعلم ان هولاكو اخا منكوقان قد خرج من قراقرم وهو واصل الي والى الخليفة والى الروم واليك والى مصر وهذا الخليفة غافل عن نفسه وانا اعلم انه متى قصده اخذه لسوء تدبيره وتفرق عساكره وقلة الجند عنده وهمته مصروفة الى تحصيل الجواري المطربات وقسد تحقق المغول عجزه وعجز صاحب الروم وباقي الملوك شغلوا

نفوسهم بحرب بعضهم بعضا والنار من ورائهم محرقة . وهم لا يعلمون فيقوم قيام مثله ويجهد في جمع كلمة ملوك الاسلام ليهتموا بلقاء العدو الذي لا يبقي ولا يذر ولا تهولنكم ما سمعتم فان هولاكو قد خرج ومعه من المغل عشرة آلاف لا غير ويكون مع أنجي نوين مسانو (١) عشرون الف اخرى ومتى اهتممتم بامره واعلم انكم تلاقوه عدل (كذا) من لقائكم وقد اعذر من انذر .

وحكى لي والدي رحمه الله ان الملك الناصر لما اتصلت به هذه الحكاية من كتاب علاء الدين المشار اليه قال : كنا بدمشق فارسل الي ليلا وامرني بالكتابة بهذه الصورة الى صاحب مصر الملك المعز وامر نظام الدين بن المولى احمد كاتب الانشاء بالمكاتبة الى الخليفة بالصورة فلم تتم تلك الليلة الى ان جهز كتاب الخليفة وكتاب الملك المعز صحبة البحاثين وكان لهذا الامر في غاية (Fol. 77) التيقظ والتحفظ والاهتمام بحسم المادة فيه فلا يرح حاله يتهقر واصحابه يتونون والاقدار تسوقه الى ان اخذت البلاد منه ومن بقية الملوك وهو لا ينجي بنفسه ومن جملة انه ورد عليه الخبر باخذ حلب واستيلاء العدو على حريمه وهو متشاغل من ذلك باملاء ما على خاطره من الشعر وكان ذلك في معرض ان الله تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه واذا اراد نقض دولة لا يقدر واحد على ابرام امره ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

Fol: 792 سنة ٦٥٤ وفيها هلك اتو خان احد ملوك التتار ووردت الاخبار الى الشام بهلاكه في سنة خمس وخمسين . وقيل ان امرأته سحرته فمات من سحرها فقتلوها . وفي سنة اربع وخمسين وستمائة وصل رسول من هولاكو الى دمشق وهو اول رسول وصل منه الى الملك الناصر ومضمون رسالته باخذ قلاع الاسمعيلية لنفسه . فلم يوافق الملك الناصر على ذلك .

Fol: 803 وفي سنة خمس وخمسين ارسل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل رسولا الى الملك المعز صاحب مصر يقول له : انني قد اضعفت لك قلب الملك الناصر بتهويل امر التتار والتخويف منهم واحضه على الاهتمام بمن وراءه ولم يكفني ذلك حتى اوهمته من التجربة لئلا يأمن اليهم ولا يثق بهم ، واشرت على التتار ان يكرروا عليه الرسل بالحوالات والافراجات حتى يفنوا خزائنه واموالهم

١) خرق بالاصل فلا يمكنني ان احقق القراءة.

واوقعت في نفوسهم الخوف منك وحذرتهم من قصدك والتعرض لك ويحذره من شجر الدر زوجته ويعرفه ان لها باطنا مع الملك الناصر .

Fol:812 وفي هذه السنة ارسل الى الملك الناصر رسولا يطلب اليه فلم يقدر على ذلك وجهز اليه الملك المفضل بهدية سنية . وحكى عز الدين بن شداد في تاريخه قال . ارسلني السلطان الى هولاكو مع المفضل صلاح الدين بن الملك المفضل قطب الدين موسى بن صلاح الدين يوسف فلما وصلت الى حلب اجتمعت بالشيخ شرف الدين الحوراني واستشرته في سفري فقال . لا تتم سفرك لان بغداد تؤخذ في اوائل السنة الآتية . ويقتل الخليفة ثم سبه سبا فظيعا على علم اهتمامه بملاقاة التتار وتفريطه في حق المسلمين . ثم قال لي : عزمت على خلاص بغداد فقيل لي : ان هؤلاء قوم لو تكررت عليهم الحدود فلوخت عليهم القتل فلا يدخل بيننا وبينهم . واخذت بغداد في سنة ست وخمسين وقتل الخليفة وكان الامر كما قال . وبعث عز الدين بن شداد الرسالة وعاد الزين الحافظي الى حلب من عند منكو قان في العشر الاوسط من ذي الحجة واخبر بوفاة الملك الجواد نجم الدين ايوب بن تاج الملوك ناصر الدين محمد بن المعظم [وقد كان سافر الى اردو منكوقان] ووصل مع الزين الحافظي من التتر رسولان احدهما كاكو أغا والآخر تتلمش فاخذوا في استفساد الرعايا واستمالتهم الى العدو وفي سنة ست وخمسين اخذت بغداد وقتل الخليفة على تفصيل اخباره في شرح احوال التتر .

[أأسف ان هذا التفصيل لاوجود له في النسخة]

وفيها سافر الملك العزيز ابن الناصر رسولا الى هولاكو وصحبه الزين الحافظي واخذوا ما كان قد سيروه مع الملك المفضل من الهدية واستصحبه الملك العزيز والزين الحافظي فساروا حتى اجتمعوا بهولاكو في بيلقان (F. 81) فلما اجتمعوا به اكرم الملك العزيز وقبل هديته واحضر له ابا بكر ابن الخليفة فقال للملك العزيز : لو كان ابي في خدمة منكوقان وطوعه ما جرى عليه ما سمعت به ولا اخذت منه بلاده . ثم قال هولاكو للملك العزيز : لابد ان يحضر الي ابوك قان في حضوره مصلحة له . ولا يتمنع بمنع . وادعى عليهم بمن كان هرب اليهم من بغداد وقال : انا على عزم قصده فنهتني الطوفة لبيكري . ثم

رحلوا عنه بعد ان اقاموا عنده شهرين في تخويف وترغيب فالتقوا بها ركن الدين صاحب الروم متوجها الى هولاكو شاكيا لاخيه عز الدين فبعث معه رسولا الى عز الدين توفق بينهما ان اقتسما بلاد الروم .

Fol: 84 و في هذه السنة [يعني سنة ٦٥٨] استولى هولاكو على حلب وكان نزوله عليها ثالث صفر ولما وصل خبره الى دمشق بعث الملك الناصر جمال الدين ايدغدي احد مماليكه ليكشف الاخبار فلما وصل الى حلب وقع عليهم [كذا] التتار فقبض جمال المذكور واحضر بين يدي هولاكو وسأله عما جاء فيه فانكر فضلع عليه وقال :«لا تخف من يرى وجهي ما يموت» . ثم امر بان يطاف به على العساكر التي له فلما رآها قال له : سر الى الملك الناصر وعرفه ما رايت وقل له عني : انا ما جئت إلّا بكلامك وكلام رسولك الحافظي لانك قلت انا اكثر عساكرك لا يوافقونك على طاعتي وانهم يمنعونك من الوصول الي واني جئت لاقتلهم فان قدرت ان تجيء فتعال وانا اعطيك البلاد وان لم تقدر فخذ من يوافقك على طاعتي واهرب بمن بدا وانساز الى بعض القلاع لاتحقق طاعتك فاكفتك. ثم شرعوا في الحصار وحفروا خندقا حول البلد ونصبوا المجانيق وبنوا سورا ابوابها تجاه ابواب البلد وجدوا في القتال الى ان ملكوها يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الاول ... فاقام هولاكو بحلب بعد اخذها ستة عشر يوما بترتيب احوالها ثم رحل عنها الى حارم وامر بخراب الاسوار . فلما اتصل بالملك الناصر استيلاء هولاكو على حلب خرج من دمشق وصحبته عساكره وبقي في دمشق الزين الحافظي ونجم الدين امير حاجب فلما وصل الى الكسوة لامه الامراء على استبقاء الزين الحافظي ولم يقتله. فارسل اليه يطلبه فغلق ابواب دمشق وسيره الى التتار يطلبهم لتسليم دمشق فوصلت جماعة من نواب هولاكو فدخلوا المدينة وانزلوا في دار الحقيقي وحكموا اياما قلائل وحصر بدر الدين قريبا النائب في دمشق فلم يسلم القلعة ونصبت المجانيق لمحاصرتها واقناه محيي الدين بن الزكي وكمال الدين التفليسي بانه لا يحل له القتال فلم يلتفت اليه [كذا] وامر عليه الى ان وصل كتبغانوين وكان هولاكو قد بعثه في عسكر الى الساحل وديار مصر فنزل على القلعة وحاصرها فلما اتصل ببدر الدين توجه الملك الناصر الى الشوبك وتفرق عساكره ايسي

منها فسلمها وما كان فيها لنواب هولاكو . ولما تسلموها كتب الحافظي اليه كتابا يعرفه بذلك وينهي اليه عصيان واليها فوصل الجواب الى كتبغانوين بقتل الجميع . فحضر الملك الاشرف ابن صاحب حمص وكان هولاكو قد ملكه على الشام والزين الحافظي وقال له كتبنا : هؤلاء مالهم عندي ذنب فان كنت تعرف لهم ذنبا فاقتلهم انت بيدك . فضرب الزين الحافظي رقبة بدر الدين بن قريجا والنقيب وقتل شجاع الدين وابن اخته .

وفيها اخذت ميافارقين عند عود هولاكو من الشام وقتل الملك الكامل صاحب ميافارقين بعد محاصرتها مدة وبلغ السعر فيها مكوك القمح بكيل ميافارقين خمسة واربعين الف درهم ورطل الخبز وهو سبع مائة وعشرون درهما ستمايهم (كذا) واللحم ستمائة الرطل والتين سبع مائة الرطل والعسل سمايهم (كذا) الاوقية والبصلة بثلثة وخمسين درهما وبيع رأس كلب بستين درهما وبيعت بقرة لنجم الدين مختيار [كذا لعله بختيار] بسبعين الف درهم فاشترى الملك الاشرف رأسها وكوارعها بستة الاف درهم وخمس مائة ونيف ذلك واشباهه . ولما قتل الملك الاشرف سير براسه الى الشام وطيف به في دمشق وعلق على باب الفراديس بدمشق . ثم اخذه مجد الدين امام مسجد رقية ودفنه في طاق الى جانب محراب المسجد رحمه الله .

وفي هذه السنة سير هولاكو رسله الى الملك المظفر قطز صاحب الديار المصرية فوسطهم على باب زويلة واسلم واحد منهم .

وفي شهر رمضان سنة ثمان وخمسين كانت كسرة التتار على عين جالوت وقتل كتبغانوين وهرب الزين الحافظي والاشرف صاحب حمص فلما وصلوا الى قارا عرج الملك الاشرف وتوجه الى ... وسير لطلب امانا من المظفر وطلب منه الوفاء بما كان وعده فاجابه الى ذلك فوصل اليه في شوال فاعطاه حمص والرحبة وتدمر واجرى الأمر على عوائدهم في الايام الناصرية وامر بنهب النصارى وارسل الى القاهرة في اطلاق الامراء المعتقلين فخرجوا والتقوه في الطرائق عند عوده الى القصير واستناب في دمشق علم الدين سنجر الحلبي واستناب في حلب علاء الدين علي ابن صاحب الموصل وخوطب بالملك السعيد

فوصل اليها وصادر جماعة من اهلها وجعل ذويهم كونهم لم يقدموا له شيئا عند وصوله وحصل منهم مالا كثيرا . ثم عاد الملك المظفر الى الديار المصرية فقتل بجانب القصير وهو في الصيد وكان المباشر لقتله وكن الدين بيبرس البندقداري اما ما كان من امر الملك الناصر فانه مابرح يخادع ويساق الى التتار الى ان وصل الى هولاكو وقعد عنده اياما يسيرة فلما بلغ هولاكو كسر عسكره على عين جالوت وقتل كتبغانوين مقدم عسكره الذي له امر بضرب عنق الملك الناصر واعناق من كان معه وكانوا مائة وخمسين نفرا وكان قتله في ثامن عشر شوال من سنة ثمان [وخمسين] بمكان يعرف بقطر ذراع من اعمال سلماس وله من العمر احدى وثلاثين سنة (كذا) .

ثم استهلت سنة سبع وستين وستمائة ... وفيها وصل رسول ابغا ولد هولاكو الى الملك الظاهر يطلب الصلح

[ونسي المؤلف ذكر هلاك هولاكو لعله في جزء فيه اخبار التتار ولكن هذا الجزء مفقود الى الآن]

وقال الناسخ في آخر النسخة المنقول منها هذه الاخبار .

تم الجزء الثاني من كتاب عبرة اولي الابصار في ملوك الامصار والله الموفق للصواب ذلك في العشر الاخير من المحرم سنة ثلثين وسبع مائة على يد الفقير الى رحمة ربه احمد بن علي المعروف بالظهير الناسخ الخ .

عيرة كذا وعيرة بكذا

قال في مختار الصحاح « عيرة كذا : من التعيير اي التوبيخ والعامة تقول: عيرة بكذا » فاقول ليس ذلك كلام العامة وحدهم بل كلام الفصحاء ايضا ففي « ١ : ٢٥ » من الكامل « فقال خالد اطعموني ماءا وهو على المنبر « فعير بذلك» وفي ص ١١٧ منه « ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام » والذي عندي ان « عير بكذا » افصح من « عيره كذا » لان معنى التعيير هو التوبيخ ولا وجه لنصبه مفعولين ولان الفعل محتاج الى « باء السببية » فتقول « وبخه بعجزه عن الكلام وعيره بحبه للطعام انظر نقدنا للاغاني في هذا الجزء .

مصطفى جواد